فوق طاقتها اخجلناها ، وعذبناها ، وتعدينا عليها ؛ فضلاً عن انها تتمنع من تغيير ما الفته من العادات المحلية الخ ....

مهلاً ايها المعترض الرقيق القلب ، اسمح لي بمجاوبتك بالصراحة اللازمة : اجل ، ان المرأة جامدة ، جاهلة ؛ ولكن الرجل (العفو ياسيدي !) أخالٍ من الانانية ؟ اليس انه يريد التمتع بالتفوق ، والرفعة ؟ ... ويبتغي ان يكون كل شيء له وحده ؟ فترك المرأة المسكينة على جهلها وخمولها وانهمك ، هو ، فيما يختص بنفسه

اني لااريد ان يكون الحكم بيد المرأة ؛ ولكن لوكان لها ذلك لما كانت تعامل الرجل هذه المعاملة القليلة الانصاف والمجاملة ....

ناشدتك الله ايها المعترض المتنور ، هل افتكرت حتى الان في تعليم المرأة وتهذيبها وانعاشها بما عندك من الروح الحية الراقية ؟ لو جربت ذلك ، وصبرت عليها ، لرأيتها ، في اسرع وقت ، على ما تروم . وقل لي ايضاً ، بحب الله ؛ ماهو مبلغ اجتهادك في تهذيب بناتك ، وتامين استقبال رقيهن ؟ ثم اين الجهود التي بذلتها حتى اليوم في تعزيز مشروع اصلاح حال المرأة ، وتهذيب الفتاة العراقية ؟ فان لم تصنع حتى الآن من ذلك شيئاً يذكر فيشكر ، وانت المتنور الرقيق الشعور ، فاسمح لي ان اقول لك : انك انت ياسيدي ، وامثالك ، مقصرون جداً جداً في اداء فروض الانسانية ، وفي

القيام بواجب الغيرة الحقيقية على المرأة . وان الحياة التي تحيونها ناقصة ، لانها محرومة حسنات ولذات العيشة الاجتماعية الحقة ؛ ولن تنالوا تلك الحسنات الا بسعي المرأة . ولن تسعى المرأة مالم تنل التهذيب الحقيقي . ولن تناله الا اذا ناصرها رجال مخلصون ، فعالون ! آه !!!

بنت الفجر

مثال الحب البنوي والشجاعة والشرف (تابع لما سبق)

٤ً : بين مخالب النسور

فلم يقو القائد على اخفاء ما استولى عليه من الهيبة والاعجاب ، فقال لبنت الفجر منقاداً صاغراً : « انا اتولى حملك الى ابيك ايتها السيدة الشريفة » . فقالت له : « شكر لك الله احسانك ! » ثم التفتت الى الفتى الصياد فرأته يرتجف مرتعداً ويسألها بنظرات « بليغة » ان تسمح له بمرافقتها ؛ فقالت للقائد : « لا يتم احسانك الي ، ياسيدي ، الا بسماحك لهذا الفتى بمرافقتي آمناً » . فاشار اليها بالرضا . ونزل عن فرسه وقدمه اليها قائلاً : « انه من الجياد العربية الطهمة ، فاركبيه يا ابنة الراشد » . ففعلت ، وركب هو فرساً آخر . وامر بارداف الصياد وراء احد الفوارس . ثم قفلوا راجعين الى

طريق غرناطة

وكأن الجواد العربي عرف من السابحة عليه، والى اين ذاهبة؛ فكان ينهب الارض عدواً، ويشرح قلب الفضاء بصهيل اشبه بالتهليل

ولم ينتصف الليل حتى وصلوا الى قصر فخم، يبعد بضعة عشر ميلاً عن غرناطة. فأمرهم القائد بالنزول فيه لتناول الطعام والاستراحة. فدخلوا الى ساحة القصر وقد أوقدت فيها الوف الشموع والمشاعل فازاحت حجب الظلام عن جنائن غناء، وخمائل خضراء، في وسطها دار قوراء، قد دارت بها صفوف عديدة من الاروقة، قائمة على مئات من عواميد الرخام الملون، بين احمر واصفر وازرق وابيض. وقد برقت على جدرانها فصوص الفسيفساء، وتجلت بدائع النقوش العربية ... وفتح القائد امام بنت الفجر باباً واسعاً، فدخلت منه الى ردهة مهيبة، قد علق في سمائها عشرون ثريا تتدفق منها الانوار على نفائس الارائك، والمناضد، والطنافس، والرياش. وكان الصياد واقفاً على الباب، فأومأت اليه بالدخول، ففعل، فجلسا، ولم ينبسا ببنت شفة

وغاب القائد لحظةً من الزمان. ثم عاد وقد ارتدى حلةً فاخرة، فتقدم الى بنت الفجر ودراري القلادة الاميرية تشع على صدره، وفي يده ضمة جسيمة من انواع الازهار، ضوعت الردهة بطيب

شذاها؛ فوضعها في اناء من الذهب الابريز، وقدمها بين يدي السيدة مبتسماً. وكان معه رفيقان، فانبرى احدهما يقول بلهجة عربية فصيحة: « فلتنعكس انوار جمالك، يا ابنة الراشد، على هذه الازهار الرائعة، فتزيدها رونقاً « ودلالاً »؛ ولتتناثر عليها من انفاسك الذكية ذرات عنبرية تزيد رائحتها طيباً! ». ثم التفت الى القائد وانحنى أمامه الى الارض وقال متملقاً: « لك الهنأ بها، والخير والبركة، ياسيدي الامير المعظم! ». فلم ينتبه القائد لكلامه، انما ترك القاعة وخرج قائلاً: « اني راجع الساعة »

وجلس الرجلان الى جانب بنت الفجر. فقال لها المتملق: « ان جلالة الملكة ايزابيل قد جادت على القائد بهذا القصر العجيب جزاء بسالته ومفاداته، وتكرمت عليه برتبة امير، وعينت له راتباً جزيلاً. فهو اليوم متمتع بجاه عريض، وغنى وافر، وسعد عالٍ؛ وله الكلمة النافذة في المملكة؛ فهو، والحق يقال، اليق رجل لك، ايتها السيدة النبيلة الجميلة ». فاجابت: « اما هذا القصر فهو من بقايا املاك اجدادي، وكثيراً ما تنزهت فيه، وقضيت فصول الربيع؛ فهو في نظري ملك مختلس، ومال حرام. واما الجاه والغنى والسعد والنفوذ فهي من الودائع التي يؤتمن عليها الانسان في هذه الدنيا الى حين. فقد كان والدي في الامس رب الامر والنهي

والسيادة ، وهو اليوم معتقل ، ومقيد بقيود الاسر والضيق ... واما انا فلن ينالني رجل بعد الذي كان لي ، وبفقدانه انتهت حياة قلبي!». قال : « كل ارملة ، حديثة العهد ، تقول مقالك ، لكنها اذا توفقت لنصيب حسن حيي قلبها ، ونسيت الماضي ، واستبشرت بالحاضر ...» فصاحت به : « كفاك تهذي ... واعلم ايها المتنكر بثياب الغرباء ، ان لهجتك العربية قد فضحت لي خفي امرك ، وقبح خيانتك ... انك لقد تزلفت للغرباء ودخلت في رهطهم ، وتفرغت لتمليقهم ، وخدمة اهوائهم ، طمعاً بحطام الدنيا » . فقال : « اني بهذا اداري زماني » . فاجابت : « ما اقبح المداراة اذا كانت خيانةً وجبناً ولؤماً!» قال : « وماذا كان لي ان اعمل ، والسيف على رأسي ، وهاوية الشقاء قد فتحت فاها لتبتلعني ! » فهتفت بصوت عظيم قائلة : « كان لك ان تموت شريفاً ! » فقهقه ضاحكاً وقال : « لا افهم كلامك ! » قالت : « ذلك لانك لا تعرف للشرف والامانة معنى . فاعلم ان ابنة الراشد حريصة على شرفها القومي لا تبيعه بثروةٍ وان وسعت ، وبحياة وان سعدت » . فاخذ يهز رأسه ويقول : « ما اجهلك يا امرأة ! اما تشعرين انك في عرين الاسد ، بل بين انيابه ، وان اشارة واحدة من سمو الامير المعظم تزجك في هاوي الهلاك ؟ او تحسبين انه لا يتمكن من تزوجك رغماً عن تعللاتك الواهية ، ونظرياتك السخيفة ،

وتقاليدك البالية ؟ » فزجرته قائلة : « اخرس يا خائن ! ان وحشيتكم قد تدفعكم الى تمزيق جسدي اربا اربا ، ولكنها لن تتمكن من التأثير في ارادتي وسلب شرفي ! ... » فثار ثائره وصرخ في وجهها : « لا عاش شرف يعدم صاحبه السعادة والحياة ! فابشري ايتها المتكبرة المنيدة بالعذاب الاليم ! وليستعد والدك للشنق ! فستهلكين نفسك واياه ، ارضاءً لعاطفة شرفك الكاذبة! ... قولي لي ، بربك ، الى اين المفر ، وانت عصفور بين مخالب النسر ؟ » اجابت ونار الحماسة تتوقد في عينيها : « الى ربي المفر ، وهو القدير على انقاذي من دسائسك ، ومخالب نسورك ! »

ولما رأى الصياد شدة انفعالها لم يتمالك ان هجم على المعتدي وصفعه قائلاً : « الى متى هذا التطاول على السيدة الفاضلة ؟ » فاستل المعتدي سيفه ليضربه ، فاسرع رفيقه الى الدخول بينهما ... وانهم لكذلك ، اذ دخل الامير فصاح : « ما هذا الصراع ؟ . » فتقدم اليه المعتدي يقول : « هذا جزاء اكرام العدو والعطف على شقائه ! اتسمح لي ياسيدي الامير باخذ راسيهما بحد حسامي ، فان اهانتهما لسموك لا تمحى الا بالدم! » . فامره بالسكوت ، والتفت الى بنت الفجر وقد ساءه تأثرها وقال : « ما الداعي ياسيدتي الى هذا الروع وانت في اعز حمى ؟ » قالت : « أأمرت انت ياسيدي هذا الرجل بمفاتحتي بمسألةٍ ما ؟ »

أجابها : « لا ياسيدتي ... » فاعترض المتملق وقال : « ان حبي لسمو الامير ساقني الى ان اعرض لها شرف التزوج منه ، فزجرتني وانكرت الامر ... وهل من اهانة اعظم من هـذا الرفض ؟ ثم قام خادمها يضربني ويشتمني ... » ففهم الامير دخيلة المسألة وقال: « كلا ، كلا ، لم يسقك الى ذلك الطلب سوى طمعك بمـال اوجاه تناله مني لقاء ترويجك امراً تحسبني مستقتلا عليه ؛ وهو لم يدر في خلدي ... ان السيدة ضيفي ، وقد شعر قلبي بشقائها ، فعولت على جبر خاطرها ، وتسهيل امر ايصالها الى ابيها . فكيف يسوغ لي ، وهي على هذه الحالة الاليمة ، ان اطلب تزوجها ؟ » . فقال الصياد : « ان هذا المتطفل قد توعدها ، ياسيدي ، بالاجبار بل بالعذاب والهلاك » . فاستشاط الامير غضباً وصرخ قائلاً : « لحاه الله ! فليستعد هو للعذاب والموت ! » فقالت بنت الفجر : « قد غفرت له ياسيدي . فاشمله بعفوك ، ان العفو من شيم الكرام » ...

عند ذلك بهت المعتدي من كرم اخلاقها وشرف عواطفها ، واحس بصغر نفسه لقاء عظمة نفسها وشهامتها . فترامى على قدميها صارخاً : « انا عبدك ماحييت ، وروحي فداك ، ياسيدتي النبيلة ! » فقال لها الامير : « ارضيته عبداً لك ؟ » قالت : « أما وقد ارعوى ، فاني ارضاه اخاً لي » . أجاب الأمير وقد كاد قلبه يسيل رقة لدى

هذه المروءة وهذه الشفقة : « فليكن لك ياسيدتي ماتريدين ! »

٥ : امام قصر الحمراء

وبعد الطعام والاستراحة ، ركب الامير وبنت الفجر والصياد وتائب (وهو الاسم الذي اطلقته بنت الفجر على الرجل المرعوي) قاصدين مدينة غرناطة . فدخلوها عند الصباح ، وقد تكللت بأنواره أبراجها العقيقية ومآذنها الزمردية ؛ ولمعت سيوف الاجين في ثنايا امواج نهرها البديع (نهر شنيل) ؛ وزهت منازه جنة العريف بكل مايروق العيون وينعش الارواح ؛ وسما قصر الحمراء العجيب بكل ما فيه ، من بروج وقباب تطاول السماء ، وجدران عظيمة قد نقشت فيها اعاجيب الفنون الخالدة ، وعواميد طويلة ، وغرف فخمة تجلت فيها آيات الصناعة والعظمة والقدرة . . .

فوقفوا لحظة من الزمان امام ذياك القصر التاريخي ، ملك القصور ، يسرحون الانظار في محاسنه الرائعة ، وعظائمه المهيبة ؛ لانه ما مر احد بقصر الحمراء الا وقف ونظر وحار ! وهناك ثارت الاشجان في فؤاد بنت الفجر ، فأحست ان صدرها يكاد ينشق عن قلبها الحزين ، لدى ذكراها الملك العظيم الذي اضاعه بنو جلدتها ، فاوقفت على الفور نظراتها المنكسرة ، واطرقت الى الارض ، تهمي الدمع السخين ، ولسان حالها يقول :

وقفت بالحمراء مستعبراً معتبراً أندب اشتاتا
فقلت ياحمراء هل رجعة قالت وهل يرجع من ماتا
فلم أزل ابكي على رسمها هيهات يغني الدمع هيهاتا

.....

وانها لكذلك، اذ سمعت الصياد يصيح مشيراً الى مشانق رآها تنصب في احدى الساحات : « لمن المشانق يا ترى ؟ » . فامتلأ قلب بنت الفجر رعبةً ، فقالت للأمير : « بحب الله ياسيدي ! قل لي، من الضحية ؟فان نفسي تناجيني بما يزجني في لجة اليأس المهلك ». فدعا الامير أحد الحراس الواقفين على باب القصر وسأله عن ذلك همساً . فأجابه الحارس : « ان الأمر العالي قد صدر باعدام الراشد وبعض اعوانه » .فامتقع لون الأمير ! وكانت بنت الفجر كلها اذاناً صاغية وعيوناً ناظرة ، فسمعت لفظة اسم الراشد ، ولحظت هلع الامير ، فكان هذا الخبر صاعقة هائلة انقضت على قلبها ، فصاحت بصوت مرعب ارتجت له قلوب السامعين : « لن يشنق الراشد وبنت الفجر حية ! ... ادخلوني على الملكة فان في نفسي من الجراءة مايقدرني على الغاء الحكم الجائر ! »

(لها تلو)

حياتنا الاقتصادية

بقلم السيدة سلمى صائغ (١)

ومي الكاتبة السورية البارعة التي جمع جرجي نقولا باز قسماً من خطبها ومقالاتها في كتاب نفيس ، سماه بالنسمات ، يظهر قدرتها الفكرية ، وسلطتها الكلامية

— ١ —

يحكم عالمنا الاجتماعي على المرأة بعدم التعرض لما لا يعنيها والاقتصار على ما يعنيها . وهو يحكم حكمه هذا بداهةً دون تروٍ ولا امعان . فاذا سألنا بعضهم ان يحدد لنا هذا « الذي يعني والذي لا يعني » لما قدروا ان يحصروا نظريتهم ضمن نظام شامل عام . والحقيقة ان مداخلة المرأة في امور المجتمع امر لا يمكن تحديده . فهو نسبي على الاطلاق

حتم المجتمع على نساء المزارعين ان يفلحن الارض ويزرعنها ويحصدنها ،

(١) تبين محررة هذا المقال البليغ انحطاط الحياة الاقتصادية في سوريا .فماذا يجب ان يقال عن بلادنا المسكينة ؟ (ليلى)